

- ر. تفسير سورة الفيل: مطبعة معارف، سنة 1354هـ.
ز. تفسير سورة الكوثر: مطبعة معارف، دون تاريخ.
س. تفسير سورة الكافرون: مطبعة فيض عام، سنة 1326هـ.
ش. تفسير سورة اللهب: مطبعة معارف، دون تاريخ.
ص. تفسير سورة الإخلاص: هذا الجزء وحده بالأردية، ولعل المؤلف ألفه لأحد معارفه بناء على طلبه، زمن إقامته بكراتشي. نشرته الدائرة الحميدية سنة 1378هـ.

المطلب الثاني: عنايته بمفردات القرآن

لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام وبعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع، وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سد جميع أبوابه. فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن أغلق عليه باب التدبر وأشكل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسورة، ولو كان الضرر عدم الفهم لكان يسيرًا، ولكنه أكثر وأفظع. وذلك بأن المرء قلما يقف على جهله، بل يتجاوز موقفه، فيتوهم من اللفظ ضد ما أريد، فيذهب إلى خلاف الجهة المقصودة، ثم سوء فهم الكلمة ليس بأمر هين، فإنه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام وكل ما يدل عليه من العلوم والحكم. فإن أجزاء الكلام يبين بعضها بعضًا للزوم التوافق بينها.¹

وكتاب مفردات القرآن من أهم كتب الفراهي، وقد ظهر أخيرًا بطبعة متميزة، وخدمة راقية على يد الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي. ويحتل كتاب المفردات مكانة مرموقة بين معاجم المفردات القرآنية، وإذا كان كتاب الراغب الأصفهاني مفردات القرآن قد حاز الشهرة في هذا الفن فإن كتاب الفراهي - على قلة مفرداته، وعدم اكتمال تأليفه - قد نال مرتبة رفيعة ولا أدل على ذلك من الدراسة التي قام بها الدكتور أحمد حسن فرحات "معاجم مفردات القرآن

¹ مفردات القرآن، عبد الحميد الفراهي، تحقيق: د. محمد أجمل أيوب الندوي الإصلاحي، ص 95.

موازنات ومقترحات" وهي مقارنة بين أشهر خمسة معاجم وهي:

1. مفردات الراغب الأصفهاني (ت502هـ)
2. عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (ت756هـ).
3. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (ت817هـ).
4. معجم ألفاظ القرآن الكريم طبع مجمع اللغة العربية عام 1390هـ.
5. مفردات القرآن للفراهي (ت1349هـ)

وخلصت الدراسة إلى وجوب الاستفادة من منهج الفراهي في دراسة الكلمة القرآنية وإلى وجوب الاستفادة منه في معالجة الكلمات التي يشك في معناها، وذلك بالرجوع إلى الشعر الجاهلي، واللغات السامية التي تشارك العربية في جذورها الأصلية، ووصل من خلال منهجه إلى حل للكثير من المفردات المشككة، انظر على سبيل المثال المفردات التالية: (ابن الله، والرب والأب، النصارى، درس، القربان، التفت الساق بالساق، هادوا، إسرائيل، طور سنين، الزيتون، السلوى، الإنجيل)

في مقدمة كتابه القيم ثلاث مقدمات مهمة- وإن كانت غير شاملة- تتعلق بلغة القرآن، تحدث فيها عن المنهج الصحيح الذي يجب أن يتبع في الفهم الدقيق للمفردة القرآنية باعتبارها أصغر وحدة في النظم القرآني، حتى لا يقع المفسر للقرآن في الخطأ والوهم فجاءت المقدمة الأولى في مقصد الكتاب ومدى حاجتنا إليه وذكر فيها: "أن المعرفة بالألفاظ المفردة، هي الخطوة الأولى في فهم الكلام وضرب مثلاً: كلمة "الزع" في سورة القصص تبين معنى الشهيد هناك، فسوء فهمها، صرف عن معنى غيرها.

وهكذا "الآلاء" و"الطوفان". وربما ترى أن الخطأ في معنى كلمة واحدة، يصرف عن تأويل السورة بأسرها، فيتوجه المرء إلى سمت¹ كلما مر فيه بعد عن الفهم، مثل لفظ "القسم وأدواته" فلو علموا معناه، تبين لهم تأويل أكثر السور التي فيها

¹ أي نحو ومذهب.

القسم، فمن لم يتبين له معنى الكلمة وحدودها، لم يتمثل له شكله، ولا اتضح مفهومه، مثلاً كلمة "موارد" في بيت طرفة:

كَأَنَّ عُلُوبَ النَّسْعِ فِي دَأْيَاتِهَا مَوَارِدُ مِنْ خُلُقَاءَ فِي ظَهْرِ قَرْزِدِ
وانظر كيف اختلفت الأئمة في معنى البيت.

وهكذا ترى الخطأ في حد كلمة واحدة، أنشأ مذهباً باطلاً، وأضل به قومًا عظيمًا، وجعل الملة الواحدة بدداً.

وكتب اللغة والغريب، لا تعطيك حدود الكلمات حدًا تامًا. وكتب السير والتفسير، لا تبين لك بالتمام والصحة أموراً جاء ذكرها في القرآن. وكتب العلوم الأخر، من العقلية والأخلاق، لا تعطيك ما تضمن عليه القرآن من الحكم والأسرار. فاحتجنا إلى ثلاثة علوم: اللغة، والتاريخ، والحكمة.

ومن أراد التأمل الصحيح، والتدبر التام، وجب عليه أن لا يغفل عن النقد فيما يأخذه من هذه العلوم كلها.

ومن يتمسك بالقرآن وينور الله عقله به، يطلع على أغلاط كثيرة في كتب القوم. والضرر يكون بقدر الاعتماد عليها والغفلة عن النقد. ومضرة كتب الفلاسفة، أضل وأوغل، فإن معظم القرآن الحكمة، وهي الأصل. ولا سبيل إلى فهمها من القرآن، دون الاطلاع على معاني كلماتها¹ المفردة. ودون العلم بصحيح علوم اللسان من البيان.

وأما المقدمة الثانية فقسّم فيها الكلمة إلى أربعة أقسام وتحت كل قسم تقسيمان فيكون المجموع ثمانية أقسام على النحو التالي: (المشكلة والمعروفة. المشتركة والمنفردة. الجامعة والخاصة. المرادفة والمبائنة).

¹ مفردات القرآن للفراهي، ص 95-99.

أما المقدمة الثالثة فقد دُلَّ فيها الفراهي على أن القرآن الكريم قد أخلص عن الوحشي والغريب كما أخلص عن التعقيد في التركيب، وذكر الأسباب التي حملت الناس على اعتقاد وجود الغريب وفندها مثل رده للروايات التي نقلت في جهل بعض علماء الصحابة ببعض الألفاظ القرآنية.

مثال من المفردات:

1. قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: 29]: معنى "والتفت الساق بالساق" المعنى ألا يقدر المرء على المشي، ويكون هذا من شدة الضعف، فإذا مات الإنسان تبين أن قد التفت ساقاه بعد أن كان جوالاً، كما قال دريد بن الصمة:
وَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَّى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافاً وَلَا طَائِشَ أَيْدٍ
كَمِيشِ الْإِزَارِ خَارِجُ نِصْفِ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الضَّرَاءِ طَلَعُ أَنْجِدٍ
وتصوير الضعف، بالتفاف الساق أمر ظاهر، وجاء في كتب الأنبياء.

فمعنى الآية: أنه بعدما يئس منه الطبيب، وودعه القريب، وخانه أطوع أعضائه، فكيف يكون ماله وهو مسوق إلى ربه، قليل الأزر، كثير الوزر.؟!

وأما "الساق" - بمعنى شدة الأمر -: فقول من لا يعرف من علم اللسان غير اسمه، فلا يميز بين دلالة المجموع، ودلالة الأجزاء. الكشف عن الساق: إنما يدل بمجموعه على الجد والتشمير، والكشف هو الكشف والساق هي الساق.

وَوَهِمَ الرواة فيما رَوَوْا عن ابن عباس أن آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة. فإنه لو صح فهو بيان الواقعة، وليس بتفسير للساق.

كشف عن ساقه: شَمَّرَ وأسرع. قال ذو الرِّمة:¹

¹ اسمه: غيلان بن عقبة أحد فحول الشعراء وعشاق العرب. مات بأصبهان سنة 117هـ من قصيدة له في ديوانه: 1250، والبيت وحده في الأساس (صعد، ذلل) نهاضي إلى صعدائه، يعني فرساً طويل العنق. في الأساس: فلان يتبع صعداءه: يرفع رأسه ولا يطأطئه كبراً. لذا ذلل القميص: ما يلي الأرض من أسافله، جمع الذلل. انظر: مفردات الفراهي، ص 234.

قَطَعْتُ بِهَاضِي إِلَى صُعْدَاتِهِ إِذَا شَمَرْتُ عَنْ سَاقِي خُمُسٍ ذَلَالُهُ

2. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: 42] له تأويلان:

الأول: يوم يسرعون إلى الموقف، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: 43].

وأيضاً: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: 51].

وأيضاً: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: 6-8].

وأيضاً: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴿[إبراهيم: 42-43].

والثاني: أن لفح السعير تأكل لحم سوقهم، فيكشف عن عظمها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا لَطَنٌ ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَى﴾ [المعارج: 15-16]، فهذا ذكرهم قبل أن يدخلوا النار فإنها تدعوهم.

و"الشوى": لحم الساق- على الصحيح-. والتأويل الأول يؤيده كثرة نظائره، وظهور معنى "كشف الساق". والتأويل الثاني يؤيده ما في السياق، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: 42]. وبعده قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ [القلم: 43]

المطلب الثالث: اهتمامه بأساليب القرآن

لا يخفى أن الأساليب لها عناية بكل لسان لدورها في تأدية الكلام وفهم المراد منه وهي ألصق بعلم المعاني التي يبحث فيها عن تراكيب الكلام. وكتاب "أساليب القرآن" للفراحي عبارة عن إشارات متفرقة قام بجمعها الأستاذ بدر الدين

العدد الخاص مجلة الهند

الإصلاحي- مدير الدائرة الحميدية- وقدم للكتاب بمقدمة طيبة، ذكر فيها الدافع لنشره لهذا الكتاب، ثم ذكر أهمية الأساليب في اللغات، وأن الغرض من الأساليب هو الإحاطة بما يدل عليه الكلام من المعاني، وأن الكلام لا يكون إلا حاملاً لعواطف المتكلم من الرضى والسخط، والفرح والألم، والرحمة والغضب، والرجاء والحسرة، واللين والشدة، ... ولا يدل على هذه الأمور إلا تراكيب الكلام وتأليفاته بأساليبها الخاصة.

ثم ذكر بعد ذلك أن علماء "المعاني" لم يراعوا أساليب العرب، بل مالوا إلى ما مهد لهم المولدون المبعدون المتكلفون، فجعلوا مدار الفن على الصور النحوية، واستعملات الحروف الخاصة حسب المواقع، كما صرح به إمامهم عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، فقصرنا النظر على صورة الكلام حسب القواعد النحوية، وزعموا أن إعجاز القرآن ليس إلا من هذه الجهة.

وكان الأجدر بعلماء البيان أن يستقصوا كلام العرب، ويقتفوا آثارهم ثم ينظروا بعد ذلك في أساليب القرآن، فالقرآن كثيراً ما خالف قواعدهم النحوية، ولذلك اختلفت أساليبهم عن أساليب القرآن المعهودة في الخطاب والالتفات، والإيجاز والإطناب، والوصل والفصل، والاعتراض والحذف، والتقديم والتأخير، والفصل بين المتصلين، والاستفهام والتخليص، والتعميم والتخصيص، والمقابلة والتفصيل، والإيهام ثم الإيضاح، وتضمن القول دليلاً، وذكر الأثر لما يخفى، وغير ذلك من الأساليب الكثيرة الوقوع.

وإذا كان علم البلاغة والخطابة يبين مواقع العواطف فإن علم المعاني يبين الأساليب الدالة على تلك العواطف.

وإن كان عبد القاهر الجرجاني يعتبر من الذين مهّدوا سبيل هذا الفن في كتابه "دلائل الإعجاز"، واعتبر أن إعجاز القرآن ليس إلا من هذه الجهة إلا أنه كان مصيباً في تفخيم وتعظيم أمر هذا الفن، ولعدم نضوج هذا العلم عند علماء البلاغة احتاج